شهادات من مقاتلي الوحدات

ساحة البناء . كمنت وراء كوم من الحجارة على راس الطريق المطلة على الشارع العام . وفعلا ما ان اخذت الساحة حتى دخل الجيش . كنت مستحكما وراء الحجارة ، وبدات اضرب .

ناديا خلصت وانسحبت . شغلتها شغلة المدرعات ، وقد ضربتها . رجعت علينا . الحقيقة ان آخر ما اذكره هو ان الجيش يتقدم وانا اضرب ، والرصاص ياتي من كل مكان مثل زخ المطر ، وبيننا حوالى ٢٠ متر . واخيرا توقفت عن الضرب . وبعد قليل صرت اسمع اصوات طلقات . افتح عيني واتصور ان الجيش وصل وهو يضرب رصاصه علي ، ثم اكتشف انني انا الذي اطلق النار . اصبحي ينشد وحده على الزناد . اظافر انه بعد ان جربت الصندوق انفتح التزيف ، وكنت اشعر بالعقوص(١٩) وبصعوبة ارفع اصبعي عن الزناد ، وكنت افقد وعيي .

وصلت ناديا ، وسمعتها تنهر (٢٠) على الشباب ، ونضع « الاد.بي.جي. » ثم تعطي الشنطة التي فيها القذائف الى احد الرفاق . اوقفوني ووجهي الى الحائط ، وحملتني ناديا على ظهرها ، ولم اصح الا عندما شهدت الفتيات يفسلن جرحي بالسبيرتو .

- ١٣ -

من اول طلقة الى آخر طلقة لم ينسحب احد من الوحدات . حتى نداء اللجنة المركزية . الناس عندنا كانوا سمعوا من الملك كلمتين . الاولى ان عمان استلمتها خراب لازم اتركها خراب، والثانية انه لازم يزرع الوحدات بندورة . القتال صار اكثر من مجرد وعي وضرورة عدم تمكين الرجعية من الانتصار ، صار ايضا منع الملك من الفتك بالاهالي .

الفدائيون تركوا الوحدات ؟ لا . على العكس . في احيان كثيرة كنا نفطر لان نثر عليهم حتى يتمدوا من ورائنا اثناء المعارك .

واثناء المعارك صار الاهالي يخبزون على الصاجات في البيوت ، لان الدخان المنبعث من الفرن كان يدل السلطة على مكان حساس للقصف . صار الناس يخبزون ويحضرون الاكل لمركز الجبهة حيث كان يجري التوزيع .

وقرب المكان الذي كان فيه الاسرى كانت هناك دكاكين . وقد خفنا ان يقوم البعض باللعب فوضعنا حراسة . في اليوم الخامس عرفنا ان احد شبابنا اين يمكن عمه ، وهو صاحب احد مخازن المؤن ، فذهبنا الى بيته واشترينا منه العدل ووزعنا محتوياته على الناس ، ليس على المقاتلين ، لان مؤونة المقاتل كانت معه ، لقد اشترينا حوالى ٥ مخازن على هذه الطريقة .

المهم هذا كله لاشرح لك كيف اننا قررنا ان نعيش هذه المعركة اطول وقت ممكن ، فهذه هي المؤن ، ولدينا ذخائر وكنا كل ليلة نحضر ذخائر واسلحة جديدة من مواقع الجيش ، ووجدنا قبرا يكفينا ثلاثة اشهر . اعتدنا . وعندما وقف اطلاق النار كانت كل بيوت الوحدات قد اصيبت . البيت الذي كان ما زال واقفا كان قد تقدح . الواحد منا صار الثلاثين بيته . عشنا مع الموت وتعودنا عليه . صار الموت مثل لا شيء ، وكنا نؤمن باننا سنتصر .

الاستخبارات والأمن في حروب التحرير الشعبية

هذه هي الحلقة الثالثة والاخيرة من البحث الذي اعدته « الهدف » عن « الامن في حرب التحرير الشعبية » ، وكانت الحلقة الاولى قد تناولت اهمية الاستخبارات في حروب التحرير، وبحثت الحلقة الثانية في « الاستخبارات ومصادرها » وفي هذه الحلقة بحث في الاستخبارات ضد الثوار ، واستخبارات الثوار ضد اعدائهم .

١ - الاجهزة

في الحروب الشعبية تواجه الاستخبارات المضادة اوضاعا سلبية فهي تستعمل احدث الاساليب العلمية والاجهزة المطورة بينما معظم اساليب امن الثورة بسيطة وبدائية وخالية من التعقيد . فعدم استعمال الثورة لاحدث وسائل الاتصالات في تخطيطها وتحركاتها بشكل عائقا في وجه الاستخبارات المضادة اذ لا تنفع معها استعمال احدث الاساليب ، بالاضافة الى ان الثورة تكون عادة مؤازرة من مصادر وقوى خارجية فعلى هذه الاستخبارات الاحاطة بجميع المعلومات عن الثوار في الداخل وعنهم وعن نشاطاتهم والقوى التي تساندهم في الخارج مما يكون عنصرا مساندا لتشويش معلوماتها .

٢ - التسلل

على ان اهم ما تعتمد عليه الاستخبارات المضادة في جمع المعلومات هي قدرتها في التسلل الى داخل صفوف الثورة ، وتلك عملية دقيقة تعتمد على حسن اختيار وتدريب العناصر المنتدبة للقيام بهذا العمل ، فعلى المتسلل ان يعرف لغة الثوار وعاداتهم المناطق ويحسن التصرف في الحديث ويلم الماما كافيا بعقائدية الثوار الى آخر ما هنالك ، مما يجعله يبدو وكانه ثوري متطرف ، كما يكون في نفس الوقت مستندا على تامين كبير من الجهات التي انتدبته ، كما حدث في ثورة الفيليبين حين وصل احد المتسللين بمساعدة الانكليز الى اعلى المناصب القيادية واستطاع وجوده ان ينزل الضربة القاصمة بالثورة .

كما ان هذه العملية تكون احيانا جماعية بحيث تخلق المخابرات المضادة مجموعة عناصر او منظمة لها في الظاهر نفس اهداف ومطامح واساليب الثوار ثم تنضم هذه المنظمة الى الثورة ككل وذلك كما حدث في كينيا حيث اسست المخابرات الامريكية منظمة فلدت الماو ماو ولبست لباسهم واتبعت عاداتهم واساليبهم وحتى كلامهم ولهجتهم وشعاراتهم ، وقامت المخابرات كذلك بتدريب تلك الجماعات المكونة من افريقيين وبيض صبغوا وجوههم واجسادهم بلون اسمر ، كذلك ضموا الى تلك الجماعات بعض الفارين من منظمة الماو ماو . ومكنت هذه الجماعات بهذه الطريقة من انزال ضربات عنيفة بالماو ماو .

وحدث ما يشبه ذلك في الفيليبين حيث الف فرقة كاملة مشابهة لفرق الثوار الحقيقية وقامت بعمليات متعددة الى ان توغلت في مناطق الثوار وقامت بعمليات عدة ضد الثوار ثم انسحبت حين تم اكتشاف امرها .

وهذا الامر اصبح شبه شائع والمنظمات التي قامت بتاليفها الاردنية تحت ستار العمل الفدائي كانت مفضوحة بالنسبة للفدائيين انفسهم انما لم تكن كذلك بالنسبة لعامة الشعب في اول مراحل تاسيسها اذ كان افراد هذه المنظمات يقومون باعمال مشينة كانتهاك حرمة البيوت وسواها والسرقة والنهب والاعتداء على المواطنين لاعطاء فكرة سيئة عن المنظمات الفدائية القائمة ولدى بعض المنظمات اشرطة تسجيل باعتراف بعض اسرى هؤلاء وبعضهم ينتسب لسلك رسمي يرون فيها بالتفصيل المهام التي كانوا يكلفون بها وفيها دلاله واضحة صريحة على هذا الاسلوب المبع في السلل الى الحركات الثورية ومحاولات عزلها واجهاضها او القضاء عليها .

وبالرغم من ان موضوعنا يتعلق بامن الثورة ومحاولات الاستخبارات المضادة التسلل الى الحركات الثورية ، الا ان ذلك لا يعفينا من الاشارة الى انه احيانا كثيرة تستغل الثورات من قبل اناس لهم مصالح شخصية خاصة دون ان تكونوا بامين لسلطات اخرى وفي هؤلاء حظر على الثورات لا يقل عن خطر تسلل استخبارات السلطة وكلنا لم ينس بعد قمة المجموعة التي كانت تنتحل العمل الفدائي لتقوم بتهريب الدخان والمخدرات وكذلك قصص كثيرين ممن كانوا يتصرون كوفية الفدائيين ويحملون اسلحة مشابهه لاسلحتهم ويلبسون ملابسهم ثم يقومون بالسطو على المؤسسات والبيوت او يقومون بخطف الفساء وفرض الاتاوات حتى ان الصحافه ودوائر التحقيق ممن لهم او ليس لهم مصلحه اخذوا ينسبون معظم اعمال الشغب والاجرام الى العمل الفدائي ، ونحن نطالع يوميا بيانات من المنظمات الفدائية لنفي علاقتها بحوادث من هذا النوع ورغم فائدة هذه البيانات الا انها لا تقوم بمهمه كاذبه بتكذيب هذه الاخبار لان بعض الصحف اما انها تتعمد عدم نشرها واما لان بعض الناس لا يريدون ان يصدقوها واما لان البعض الاخر لا يقراون التكذيب اصلا . لذا فان مهمة الثورة هنا تشعب تشعبا كبيرا وعلى المنظمات ان تسلح بيقظة دائمة على جميع الجبهات كيقظه السائر على الحبل .

٣ - الحرب النفسية

استغلال الاعلام من اهم ما تعتمد عليه الاستخبارات المضادة لمجابهة الحرب العقائدية وهو ما يمكن ان نطلق عليه الحرب النفسية .

ومن اجل خوض حرب نفسية ناجحة تحتاج المخابرات لمعلومات صحيحة من الدرجة الاولى وتقوم ببثها عن طريق الاذاعات ووكالات الانباء والصحف فتكسب بذلك ثقة الجماهير باخبارها ثم تستغل ذلك بطريقة دس السم في الدسم من ذلك نعرف مدى ثقة المستمع العربي باذاعة لندن (اذاعة ثقة !) وكذلك اذا اردنا تاكيد خبر ننسبه الى وكالات اخبار اجنبية ولا ثقة لنا بمصادر الاخبار العربية ليس ذلك فقط لذلك وسائل الاعلام الاجنبية بل كذلك الى ضعف وغباء اجهزة الاعلام العربية التي تعتمد على اسلوب المبالغة ونسج قصص وحكايات البطولة واغفال رواية الحقيقة المجردة مهما كانت جارحة الا في حالات تحليله وعلى طريقة « ويل للمصلين » . ولا شك اننا عشنا في قصة « النكسة » زمنا والتي لم نكن نعني بها الهزيمة مطلقا .

استغلال معلومات امن الثورة لضرب العدو

على مخابرات الثورة القيام بعمليات مع دراسة كاملة لصناعة واقتصاد العدو وطريقة عمله ونسوبه وذلك بشكل دقيق مهما اتخذت فترة القيام بهذا العمل وذلك لكي يسهل على الثورة حسن ضرب مصالح العدو وطرق امداده وموانئه وذلك بعمليات التخريب المدروسة التي تشل حركة العمل بافل ما يمكن من الاخطار والاضرار وباكثر ما يمكن من الحاق الضرر . فعلى الثورة ان تحافظ بملفات كاملة جاهزة ودقيقه لهذه المواضيع . وذلك للمساعدة على ضرب اقتصاد العدو من الداخل ومنع اسباب القوه عنه بتخريبها وشلها معتمدة على استخبارات وطنية مستهدين بما قاله المفكر الصيني القديم سان تزو في كتابه (فن الحرب) :

« الحرب والاستخبارات تسير جنبا الى جنب » « لا يمكن اعتبار القائد الذي يجهل عدوه قائدا وسائدا الرئيسه او سيد انتصاره »

الخبرون

حسب راي سان تزو هناك خمسة انواع من الخبرين يعتمد عليهم في الحصول على المعلومات وهم :

١ - المخبر المحلي (المواطن)
٢ - المخبر الداخلي (الموظف)
٣ - العميل المزدوج
٤ - المخبر المؤقت
٥ - المخبر المقيم المنتدب

١ - المخبر المحلي

وهو الذي ينتمي الى البلد الذي تتجسس في الاستخبارات وهو مواطن عادي يعتبر موظفا اما للاستخبارات .

٢ - المخبر الداخلي

هو العميل الذي يشغل وظيفة في جهاز الدولة او المنطقة المراد التجسس عليها وهذا النوع من المخبرين ينتمي له عادة الى فئات لها اهمية خرجت من مناصب ما واخذ افرادها شعورن بانهم لم ينالوا حقوقهم بالمركز الذي شغلونه ، او من فئات اقترفت بعض الاخطاء زالت جزاءها فتفقت على السلطة والنظام ، وثلة ثالثة من صغار الموظفين ممن لهم شهوة المال والمركز من اية وسيلة او انهم شغلوا وقائد ثانوية لمدد طويلة دون ترقية واخذوا شعورن بالاجحاف والمرارة وخيبة الامل ، او من الموظفين المنافقين ذوي اللون ممن لا رادع لهم ن ضمير وكل همهم استغلال فرصة الفوضى والطراب الاحوال لتحسين احوالهم وتوسيع فراتهم .

وبجانب تقديم المعلومات يقوم افراد هذه الفئة بطبيعة وظائفهم المدنية او النقابية باعمال تخريبية تخلق انقساما بالبلد وتحقق جوا من البلبلة بين الاجهزة المختلفة في النظام القائم .

٣ - العميل المزدوج

ويكون هذا واسطة للتعرف على عملاء محليين لاجهزة الدولة واولئك الذين يعانون من مشاكل اجهزة الدولة الرئيسية والثانوية ، وبواسطة على معرفة اي مدى يستطيع المخبر خداع العدو ذكر طبيعة عمله .

٤ - المخبر المؤقت

وهذا هو العميل او الجاسوس الذي يمكن الاستغناء عنه في اي وقت دون اية خسارة وهو الذي يزود بمعلومات خاطئة غايتها الدس على عملية ما او شخص ما او تلويث سمعة قائد ما ودمغه بامور هو برىء منها ، وذلك مثلا بارسال رسالة ملفقة مع العميل الى الشخص المراد تلويث سمعته ثم الوشاية بالعميل لالقاء القبض عليه وانفضاح امر الرسالة وفضح ونشر خبر العلاقات الملفقة التي تضمنها الرسالة وايجاد الشك بعلاقات الشخص المشبوهة مع العدو كطريقة للتخلص منه ومن قيادته او على الاقل كف يده .

ويحدث مثل ذلك ايضا بارسال صور فوتوغرافية لعلاقات عاطفية لاشخاص بارزين يراد الاساءة لسمعتهم بقصد قتلهم معنويا وماديا ، ارسال هذه الصور لجهات رسمية او نشرها في الصحف او غير ذلك .

كذلك باطلاق الاشاعات عن بعض الاشخاص القياديين وعلاقاتهم بالمخابرات الخارجية ، او اغراق بعض الاشخاص بعلاقات معينة عاطفية او مالية من اجل تهديدهم وحصارهم وتسهيل عملية شرائهم من قبل هؤلاء العملاء .

ويعتبر هذا العميل كمخبر يمكن الاستغناء عنه اذ تكون المعلومات التي يحوزته ضحلة ومحدودة ففي حالة القاء القبض عليه وسجنه او قتله لا يخسر الطرف الذي يتعامل معه بذلك كثيرا .

وهؤلاء العملاء يمكن ان يكونوا سلاحا ذو حدين فيجب استعمالهم بفعالية وحذر ضد الاعداء واتقاء اعمالهم المضادة بالمقابل .

٥ - المخبر المقيم المنتدب

وهذا هو العميل المدرب تدريبا عاليا والذي يوضع في بلاد اخرى ويختلط بسكانها ويعيش حياتهم ويعمل بالتعاون مع العملاء الاخرين في تلك المناطق ويمكننا تعريفه بالعميل الذي يزرع في البلاد الاخرى .

وهذا النوع من العملاء له قيمة كبيرة تجب المحافظة عليهم وعدم الاستغناء عنهم ابدا لاهميتهم . وعلى عميل من هذه الفئة ان يكون عاقلا موهوبا ذكيا شجاعا يتحمل الشدائد والظروف الطبيعية القاسية (الجوع والعطش والبرد والقذارة والاهانة) كما يجب ان يكون نشيطا ويحاول ان يتوصل الى كبار القادة والمسؤولين والموظفين ويفهم ويدرك مشاكل البلد والسكان وخاصة جماهير الشعب وقاعدته .

× × ×

كل اساليب الاستخبارات هذه تظهر نقاط ضعف العدو فيسهل بذلك الاضرار به وبمصالحه دون تدميرها كليا طبعا . فاهمية الاستخبارات للحركات الثورية تستهدف غايتين : الاولى : لجمع المعلومات والثانية : بالتالي لضرب وتخريب منشآت العدو ومصادر قوته وسلطته . ويمكن استعمال كلتي الغايتين استراتيجيا وتكتيكيا للوصول الى اهداف سياسية وعسكرية وبدون هذين العاملين لا يمكن لاية حرب شعبية ادارة عمليات ناجحة .

اهمية المعلومات :

من اهم قواعد حروب التحرير الشعبية المبادرة وهي ان تتولى الثورة زمام المبادأة وحسن التوقيت والحركة وان تحاول افقاد عدوها هذه العناصر . ولكي تنجح الثورة في تحقيق هذا الهدف عليها الاحاطة بما فيه الكفاية بخطط العدو وتحركاته وتنحصر اعمال استخبارات امن الثورة في ثلاث ساحات رئيسية :

■ اولا : معرفة خطط العدو العسكرية والسياسية المتعلقة بالقضاء على الثوار وهذا ما يسمى بالاستخبارات الاستراتيجية .

■ ثانيا : معرفة الخطوات التي يعتمدها العدو ضد الثوار في الساحة السياسية او العسكرية وذلك بالنسبة لتفاصيل توزيع القوى والعتاد والجنود وكذلك معرفة معنويات جنود العدو ونفسياتهم معرفة جيدة وتقدير مواقفهم من الاحداث . وهذا ما يعتبر استخبارات تكتيكية .

■ ثالثا : الاحاطة بالمعلومات عن اجهزة السلطة وتركيب المجتمع وطبيعة الارض وتوزيع السكان والانتاج وجميع المرافق الصناعية والاقتصادية ومصادر ثروة البلاد والمراكز الاستراتيجية الحساسة وتعتبر هذه استخبارات اقتصادية اجتماعية .

هناك امثلة عديدة على استخدام الاستخبارات في كثير من الحروب والحركات ، انما يجدر بنا هنا الاشارة اشارة نعتبرها موجزة للمخابرات الاسرائيلية لاننا نعتقد ان هذا الموضوع يحتاج لدراسة خاصة ومنفصلة .

اعتنت قوات الهاغاناه بالاستخبارات منذ اول عهدها بالعمل في فلسطين وقد كانت وحدة الاستخبارات التابعة لها تسمى « شاي » وكثيرون من اعضاء هذا التنظيم اكتسبوا خبراتهم من خلال عملهم لمدة سنوات في حركات المقاومة السرية وشبكات الاستخبارات في مختلف البلدان الاوروبية اثناء الحرب العالمية الثانية . وكان اهم عمل لهذه الوحدة هو التسلل لمراكز الامن البريطانية التي يستطيعون التوصل اليها والحصول على معلومات تتعلق :

١ - مواقع مخازن الاسلحة والتموين البريطانية
٢ - اسماء ومواقع ورتب ممثلي او عملاء قسم التحقيق الجنائي البريطاني « سي.اي.دي. »
٣ - الخطوات المقترحة لمجابهة المعارضين ومعرفتهم :
٤ - جمع الكتيبات والمعلومات الرسمية التي تتعلق بالادارة البريطانية .

معظم تلك المعلومات كان يتم الحصول عليها بواسطة رجال الشرطة اليهود والموظفين الحكوميين اليهود والذين كانوا اعضاء سريين بالهاغاناه ، وقد ادخل هؤلاء في منظمة الهاغاناه بعد حصولهم على وظائف حساسة . وقد كانت تلك المعلومات تراجع من قبل عضو في وحدة الاستخبارات « الشاي » للتاكد من صحتها وبانها ليست مدسوسة ، وقد حاولت الهاغاناه اقناع جميع اليهود بانه من واجبهم الوطني تقديم المعلومات لها دون مقابل .

وعند انتساب اي شخص لوحدة الاستخبارات كان يتم اختياره بارسال شخص من قبل الوحدة بشكل عميل بريطاني يقوم بتوقيف مرشح الانتساب الجديد واجراء تحقيق شامل معه ومن ثم تقرير مدى اخلاصه بنتيجة هذا التحقيق .

وكان التنظيم هذا مسؤولا ايضا عن امن ونشاطات مراكز عدة :

١ - حراسة مصنع الاسلحة السري وعملياته فقد كان المسؤولون عن الانتاج فقط هم الذين يعرفون مكانه وقد كانت مهمة « الشاي » تامين عدم وجود دوريات قربه كما كانوا مسؤولين عن استيراد الماكينات الضرورية له والمواد الخام وعن ايصال الاسلحة .

٢ - مسؤولية حراسة مدارس التدريب للاعضاء الجدد اثناء انعقاد الصفوف .

٣ - تنبيه المجتمع اليهودي في اي منطقة عن اي عملية تفتيش بريطانية متوقعة والتي كانوا يحصلون على اخبارها من عملائهم في قسم التحقيق الجنائي البريطاني . ومن خلال اتصالهم على وسائل اتصالات البريطانيين وفك الشيفرات والرموز وقد كانوا يراقبون ٧٤ محطة تعمل تحت امرة الـ « سي. اي. دي. » وقد اعترف البريطانيون ان الهاغاناه كانت على علم مسبق بقرارات تتخذ من قبل القيادة العليا قبل وقت لا باس به من تنفيذ تلك القرارات .

المخابرات الاسرائيلية تتشكل تقريبا بالشكل الاتي :

- هناك معهد مركزي للاستخبارات والامن مسؤول عن جميع فروع الاستخبارات وهو يقرر مخططات جميع الفروع وينسق اعمالها، ويستفيد من معلومات كل فرع لتركيب الصورة الكلية ، بجانب ذلك فهو مسؤول عن ادارة مدرسة خاصة يدرب فيها عملائه في جميع فروع الاستخبارات .
- اما فروع الاستخبارات فهي التالية :

١ - فروع لخدمات الامن العام وللتجسس المضاد وكشف الطابور الخامس اي مكافحة التجسس .
٢ - وحدات الاستخبارات العسكرية ومهمتها جمع المعلومات العسكرية من كل مكان .
٣ - وحدات جمع المعلومات من مختلف الاوساط الدبلوماسية في العالم لاغراض سياسية .
٤ - قسم تحريات خاص بجمع المعلومات عن الاشخاص داخل البلاد او الجهاز الحكومي .
٥ - ثم هناك فرع يجمع كل المعلومات عن العدو ، اقتصادية وسياسية واجتماعية بحيث يلم بكافة وجوه المجتمع ليسهل عليه شن الحرب النفسية .

- انتهى -

اعداد « الهدف » :
(س.د.ه) و (ف.غ.ه)